الاستسقاء وتطبيقاته العملية في المملكة العربية السعودية

د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان
قسم الدعوة والاحتساب - كلية الدعوة والإعلام - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد، فإن الله تبارك وتعالى أنعم على عباده بنعم عظيمة لا تعد ولا تحصى قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾(١)، ومن أعظم النعم التي امتن الله - عز وجل - بها على الخلق كلهم الماء، فهو سبب الحياة، وهو رحمة من الله لخلقه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(٢)، وقد كان الناس قديما وحديثا يسعون إلى مواطنه، ويبحثون عن منابعه، إذ لا عيش لهم إلا به، وكان الماء سببا لارتحال الناس قديما وهجرتهم، فإذا نضب الماء وأمسكت السماء سعى الناس في الأرض يبتغون الماء من مظانه.

ومن يتأمل أحوال الأمم قديما وحديثا يجد الماء في أولويات اهتماماتها، وفي العصر الحاضر حيث ازداد عدد سكان الأرض وتضاعف، وأصبحت الدول مستقلة بمواردها وثرواتها، فإن الماء أصبح هاجس كثير من الدول لا سيما الدول التي تقل فيها موارد المياه، ويتضاعف فيها عدد السكان؛ ولذا سعت هذه الدول إلى تعزيز اهتمامها بالماء عاما بعد عام، وأنشئت لذلك المؤسسات المعنية بحفظ الماء والعناية به.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

والمملكة العربية السعودية من الدول التي تعاني شح المياه، حيث تكثر فيها الصحاري، وتقل فيها موارد المياه، فلا توجد الأنهار، وتقل فيها الأمطار، ويتزايد فيها عدد السكان كل عام، حيث ينعم سكانها بالاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والصحي؛ فتتزايد نسبة المواليد، وتقل نسبة الوفيات، كما أن المملكة بخيراتها وثرواتها تجذب الألوف المؤلفة ممن يبحثون عن فرص العمل، ويسهمون في التنمية والبناء.

وفي ضوء ذلك تسعى المملكة إلى ترشيد استهلاك الماء، وتوعية المجتمع بجميع أفراده بحسن استخدامه؛ لأن المسؤولية تقع على جميع أفراد المجتمع كل بحسبه، الرجل في بيته، والمرأة في بيتها، والموظف في عمله، والمعلم في مدرسته، والخطيب في منبره، والإمام في مسجده، والكاتب بقلمه، والعامل في مصنعه، كل يسهم بجهده، ومن هنا فإن مسؤولية التوعية بأهمية الماء والمحافظة عليه واجبة على كل أحد، وإن المحافظة على الماء وحسن استخدامه ينبغي أن يكون واجبا يلتزمه المرء، ويسعى إلى تطبيقه وتنفيذه على نفسه وعلى من تحت يده. وذلك من مقتضى الالتزام بأحكام الإسلام وتنفيذ تعاليمه، وللعلماء والدعاة نصيبهم في حمل الناس على ذلك، وإرشادهم إلى نهج الشرع المطهر في استخدام الماء.

وانطلاقا من ذلك سعيت في هذا البحث إلى بيان أهمية الماء وأثره في حياة المجتمع، كما سعيت إلى بيان أحد أهم التدابير الواقية من الجفاف، وهو الاستسقاء وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية.

أولاً: الماء والحياة

نعمة الماء من أجل النعم التي أنعم الله بها على الخلق؛ إذ به تقوم الحياة، وإلى طلبه يسعى الناس كلهم، منذ أن خلق الله تعالى آدم وأسكنه الأرض وإلى أن تقوم الساعة، "فالماء سبب لحياة العالم"(٣)،

---

(٣) السرخسي: شمس الدين. المبسوط، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج٢٣، ص١٩٢.

يبين ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾(٤).

قال إمام المفسرين الإمام ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية: "وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء"(٥).

وقال الإمام القرطبي: وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ثلاثة تأويلات، أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء، الثاني: حفظ حياة كل شيء بالماء، الثالث: وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي(٦).

وقال الإمام الشوكاني تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾؛ "أي: أحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء، فيشمل الحيوان والنبات، والمعنى: أن الماء سبب حياة كل شيء، وقيل: المراد بالماء هنا النطفة، وبه قال أكثر المفسرين"(٧).

وقول الإمام ابن جرير الطبري أولى؛ حيث إن سياق الآية يرجح أن المقصود ماء السماء، وهو ما استند إليه هذا الإمام في ترجيح ذلك، حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ على ذلك وأنه - جل ثناؤه - لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه"(٨).

---

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٥) الطبري: ابن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١٧، ص٢٠.

(٦) انظر: القرطبي: محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ، ج١١، ص٢٨٤.

(٧) الشوكاني: محمد بن علي. فتح القدير، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٣، ص٤٠٥.

(٨) الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٧، ص١٩.

فالماء سبب للحياة، ولا تقوم بدونه؛ ولذلك فالماء والحياة شيئان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر(٩).

ومنذ القدم كان اهتمام المجتمعات والدول بالماء، وربما نشأت الخلافات والحروب بين الدول على موارده.

وفي العصر الحاضر تهتم الدول كثيرا بعقد المؤتمرات المتعلقة بشح الموارد المائية، وتحقيق الأمن المائي، وتضع في أولويات خططها التنموية هاجس توفير المياه، لا سيما الدول الصحراوية التي تعاني ندرة المياه. ومع تزايد السكان، وارتفاع مستوى المعيشة، وازدهار الصناعة والزراعة يزداد الطلب على الماء؛ لذا نجد اتفاقا عالميا على أهمية المحافظة على المياه، وضرورة ترشيد استخدامها(١٠).

وجدير بالذكر أن التسرع في حفر الآبار، واستخراج المياه بلا ضابط في كثير من الآبار دون النظر إلى مقدار الحاجة إلى المياه، وطرائق صرفها في الأراضي المستخدمة فيها أدى إلى قيام مشكلات مائية وزراعية تتعلق بقدرة الأراضي على الإنتاج(١١).

وقد صدر عن جامعة الدول العربية تقرير حول أوضاع المياه في الوطن العربي يشير إلى توقعات بازدياد تأزم الوضع المائي العربي في السنوات المقبلة؛ نتيجة لتوقع زيادة الطلب على المياه بمعدلات مرتفعة لمواكبة النمو السكاني السريع، الأمر الذي سينعكس سلبا على حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ويؤكد التقرير أهمية اتخاذ العرب خطوات فاعلة، ومؤثرة، على مختلف الأصعدة، المؤسسية والاقتصادية والاجتماعية والتشريعية،

---

(٩) انظر: خضر: عبدالعليم. الماء والحياة بين العلم والقرآن، الدار السعودية، جدة، ط١، ١٤٠٥هـ، ص١٦.

(١٠) انظر: الملحم: محمد. الطلب على المياه للأغراض المنزلية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ٤٧، ١٤٢٥هـ، ص٥٤٥.

(١١) انظر: وزارة الزراعة المياه. سبع سنابل خضر، ١٣٩٤هـ، ص٩.

لوضع سياسات وبرامج للموارد المائية بهدف تخفيض استهلاكها والحد من تلوثها(١٢).

ويحدد التقرير المعوقات التي تعترض تحقيق الأمن المائي العربي في العوامل الآتية:

١ - محدودية الموارد المائية.

٢ - مأزق الموارد المائية المشتركة.

٣ - الزيادة في السكان.

٤ - نقص المعرفة ببعض الموارد المائية.

٥ - ضخامة متطلبات الأمن الغذائي.

٦ - انخفاض كفاءة استخدام المياه.

٧ - تدهور نوعية المياه والتربة.

٨ - إهمال الجانب الاقتصادي في المياه(١٣).

وجدير بالذكر هنا أن جزءا كبيرا من الهدر للماء كان بسبب الجهل، وقلة برامج التوعية أو عدم مناسبتها، فلا يكفي وضع قصاصة على جدار، أو تحذير أو رجاء عبر وسيلة إعلامية، بل يجب أن يكون هناك وازع ديني يعمر القلب حال هدر الماء، ووجل عند رؤية الإسراف. وما لم يستشعر كل فرد مسؤوليته المباشرة فإن ملايين الأمتار المكعبة ستكون مهدرة.

وحيث إن المملكة العربية السعودية من الدول التي تقل فيها المياه، فقد أدرك الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - ومن خلفه أبناؤه الملوك الميامين معاناة هذه البلاد المترامية الأطراف من شح الموارد المائية، وعملوا على تذليل هذه الصعوبة

---

(١٢) انظر: جريدة البيان. تقرير عن الأمن المائي العربي، الإمارات، ١٤١٩/٦/٢٨هـ.

(١٣) جريدة البيان. تقرير عن الأمن المائي العربي، الإمارات، ١٤١٩/٦/٢٨هـ.

بشتى السبل في عصر كل منهم، وسعت المملكة لتأمين المياه الصالحة للشرب لمواطنيها والمقيمين بها، رغم الظروف المناخية الجافة التي تعيشها معظم مناطق المملكة، وفي سبيل ذلك قامت بتنمية مصادر المياه الجوفية، وتطويرها على أسس علمية، كما أنتجت المياه المحلاة من البحر.

وقد ارتبط الأمن المائي في خطط التنمية في المملكة بالأمن الغذائي، ومن هنا كان دعم وتطوير وتوسيع مصادر المياه قضية رئيسة في خطط التنمية(١٤).

ورغم ما تقوم به الدولة من تأمين المياه لكثير من الاحتياجات من خلال تحلية المياه المالحة، إلا أنه لم يغب عنها المصدر الأساس للماء وهو المطر، فكان الأخذ بأسباب نزوله هاجسا كبيرا تسعى إليه؛ لأنه مما امتن الله به على عباده، وأمرهم بالأخذ بأسباب نزوله، والناس في كل زمان ومكان مضطرون إلى رحمة الله وإحسانه، لا غنى لهم عنه بحال، فهو الغني سبحانه، وهم الفقراء إليه في كل أحوالهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾(١٥).

ومن هنا فإن تدابير الشرع المطهر جاءت لتحفظ أمن الفرد والمجتمع في ضرورياته ومتطلباته، والماء من أهم هذه المتطلبات، وفي دين الإسلام تدابير وأسباب تشريعية واقتصادية واجتماعية تكفل للمجتمع المسلم أن يعيش أمنا مائيا يحفظ حياته، ومن هذه التدابير: تعظيم الأوامر والنواهي كما قال الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(١٦)؛ أي: لو أنهم آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال، واستعملوا

---

(١٤) انظر: الملحم. الطلب على المياه للأغراض المنزلية، مجلة جامعة الإمام، العدد ٤٧. وانظر: جريدة الجزيرة، في ١٤٢٢/٩/٣هـ.

(١٥) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(١٦) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

تقوى الله تعالى ظاهرا وباطنا بترك جميع ما حرم الله لفتح عليهم بركات من السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارا، وأنبت لهم الأرض(١٧).

ومنها: تعظيم شأن الزكاة فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: "يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقص قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم؛ فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"(١٨). ويؤخذ من الحديث أن منع الزكاة من الأسباب الموجبة لمنع قطر السماء، وأن نزول الغيث عند وقوع المعاصي إنما هو رحمة من الله تعالى للبهائم(١٩).

ومن التدابير: النهي عن الإسراف كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٢٠)، ودلت السنن الصحيحة على أن النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - لم يكونوا يكثرون من صب الماء، ومضى على هذا التابعون لهم بإحسان(٢١).

---

(١٧) انظر: السعدي: عبدالرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ص٢٦٠.

(١٨) رواه ابن ماجه: محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، د. ت، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم الحديث: ٤٠١٩. وحسنه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ، ج٢، ص٧، رقم الحديث ١٠٦.

(١٩) انظر: الشوكاني: محمد بن علي. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار أنصار السنة المحمدية، لاهور، د. ت، ج٤، ص٣.

(٢٠) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢١) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج١، ص١٢٨.

قال أبو الوفاء ابن عقيل رحمه الله: وما عُرف من خلقه - يعني النبي ﷺ - التعبد بكثرة الماء(٢٢). فكان "يتوضأَ بالمد تارة، وبثلثيه تارة، وبأزيد منه تارة، وكان من أيسر الناس صبا لماء الوضوء"(٢٣). وكما ثبت النهي عن الإسراف في الكتاب والسنة فقد أجمع العلماء على النهي عنه، قال الإمام النووي رحمه الله: "وأجمع العلماء على النهي عن الإسراف في الماء ولو كان على شاطئ البحر"(٢٤). وحد الفقهاء الإسراف في الماء بأن يستعمل منه فوق الحاجة الشرعية(٢٥).

ومن التدابير: تعظيم الاستسقاء وهو موضوع هذا البحث على نحو ما سأعرض له فيما يأتي. وهذه التدابير تحفظ المجتمع من الجدب والجفاف، وتحقق أمنا دائما للمجتمع.

ثانياً: تعظيم الاستسقاء

الجدب والجفاف أحد المشكلات التي يسعى كل مجتمع إلى وضع التدابير لعلاجها، ويضع الأسباب والحلول التي تحفظ ثروة الماء، وتمنع أسباب هدرها وضياعها، والإسلام تشريع متكامل لجوانب الحياة كلها، وتنظيم للعلاقات الإنسانية، واستغلال خيرات الأرض بما يعود على الإنسان بالخير والسعادة، فبالإسلام يأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وثرواتهم، والماء أحد أهم الثروات التي ينبغي أن يسعى الإنسان إلى حفظها ونمائها، وفي الإسلام - كما تقدم - تتعدد التدابير والأسباب التي من شأنها تحقيق الأمن المائي للمجتمع، ولو أن المجتمعات البشرية أخذت بهذه الأسباب لتحقق لها الأمن ورغد العيش.

---

(٢٢) انظر: ابن رجب الحنبلي: عبدالرحمن. ذيل طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ج٣، ص١٥٠.

(٢٣) انظر: ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٣، ١٤٠٦ هـ، ج١، ص١٩١.

(٢٤) النووي. شرح صحيح مسلم، ج٤، ص٢.

(٢٥) انظر: ابن عابدين. حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج١، ص١٣٢.

ورغم ما تقدم من أن الدراسات والأبحاث تشير إلى أن أزمة المياه تزداد عاما بعد عام فإن المسلم له حساب آخر يتجاوز الأمر الظاهر والأرقام والإحصاءات والتوقعات إلى من بيده خزائن السماوات والأرض.

ولذلك كان من أهم التدابير التي جاء بها الإسلام لمنع الجفاف وتوفير الماء: الاستسقاء، إذ إن أصل الماء من السماء، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾(٢٦)، قال ابن كثير: يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾(٢٧)، فإذا أنزل الماء من السماء كَمُن في الأرض، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء، وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾ فمن سره أن يعود الملح عذبا فليصعده، وكذا قال سعيد بن جبير، وعامر الشعبي: إن كل ماء في الأرض فأصله من السماء، وقال سعيد بن جبير: أصله من الثلج؛ يعني: أن الثلج يتراكم على الجبال؛ فيسكن في قرارها، فتنبع العيون من أسافلها(٢٨).

وسياق آية الزمر في معرض تعداد النعم من المنعم - جل وعلا - فيفيد أن المراد أنزل من السماء كل ماء فسلكه ينابيع في الأرض؛ لأن كمال الامتنان في العموم(٢٩).

والقرآن العظيم مملوء بالآيات التي تقرر أن الماء من أعظم الأرزاق التي ينبغي أن يسعى العبد إلى طلبها والمحافظة عليها، وهذا ما ينبغي أن يسعى الدعاة إلى تقريره في نفوس المدعوين؛ ليقبلوا على طلبه

---

(٢٦) سورة الزمر، الآية: ٣١.

(٢٧) سورة الفرقان، الآية: ٤٨.

(٢٨) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ، ج٤، ص٥١.

(٢٩) انظر: ابن عابدين. حاشية رد المحتار، ج١، ص١٨٠.

بالاستغاثة إلى ربهم، ويعلموا حقيقة اللجوء إلى الله وأهميته؛ فإنه تعالى المنفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع والضر والنفع دون كل من سواه.

ومما ينبغي على الدعاة والعلماء بيان أن الاستسقاء شرعه الله - عز وجل - وجعله سببا لنزول المطر، قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: "والله سبحانه وتعالى حكيم، وقد يؤخر فضله؛ ليعلم الناس شدة افتقارهم إليه، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ويجعله سبب نزول المطر هو دعاء الناس، وإذا دعا الناس ولم يمطروا فله تعالى في ذلك حكمة، فهو - سبحانه وتعالى - أعلم وأحكم وأرحم بعباده منهم بأنفسهم"(٣٠).

ولأهمية الاستسقاء في حفظ المجتمع من الجدب والجفاف، ولأنه من مقامات الإيمان والتوحيد التي تظهر فيها رغبة العباد إلى ربهم وذلهم بين يديه، فسأعرض لذلك من خلال العناصر الآتية:

١ - مفهوم الاستسقاء ومشروعيته:

الاستسقاء لغة: طلب السقي، وشرعا: طلب إنزال المطر بكيفية مخصوصة عند شدة الحاجة(٣١). والاستغاثة: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون، والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه(٣٢).

"وكان النبي ﷺ والمسلمون إذا اشتد بهم الجدب، وتأخر نزول الغيث لجؤوا إلى الله سبحانه واستغاثوه؛ فيغيثهم ويمدهم بإحسانه وجوده"(٣٣).

قال أبو عمر ابن عبدالبر: "أجمع العلماء على أن الخروج إلى الاستسقاء والبروز والاجتماع إلى الله - عز وجل - خارج المصر

---

(٣٠) ابن عثيمين: محمد بن صالح. فتاوى أركان الإسلام، جمع فهد السليمان، دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ، ص٤٠٢.

(٣١) ابن عابدين. حاشية رد المحتار، ج٢، ص١٨٤.

(٣٢) ابن تيمية. مجموع الفتاوى، ج١، ص١٠٣.

(٣٣) ابن باز: عبدالعزيز. نصيحة في فضل صلاة الاستسقاء، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٣٤، ص٣١٣.

بالدعاء والضراعة إليه - تبارك اسمه - في نزول الغيث عند احتباس ماء السماء، وتمادي القحط سنة مسنونة سنها رسول الله ﷺ لا خلاف بين علماء المسلمين في ذلك"(٣٤). وقال الإمام النووي: "أجمع العلماء على أن الاستسقاء سنة، واختلفوا هل تسن له صلاة أم لا، فقال أبو حنيفة: لا تسن له صلاة، بل يستسقى بالدعاء بلا صلاة، وقال سائر العلماء من السلف والخلف الصحابة والتابعون فمن بعدهم: تسن الصلاة، واحتج الجمهور بأن الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرها أن رسول الله ﷺ صلى الاستسقاء ركعتين"(٣٥).

قال العلماء: الاستسقاء أنواع: أحدها: الاستسقاء بالدعاء من غير صلاة في غير يوم الجمعة، الثاني: الاستسقاء في خطبة الجمعة أو في إثر صلاة مفروضة، وهو أفضل من النوع الذي قبله، والثالث: وهو أكملها أن يكون بصلاة ركعتين وخطبتين، ويتأهب قبله بصدقة، وصيام، وتوبة، وإقبال على الخير، ومجانبة الشر، ونحو ذلك من طاعة الله تعالى(٣٦).

٢ - بيان هدي النبي في الاستسقاء، وذلك في أمور منها:

الخروج إلى المصلى وتحويل الرداء:

ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ خرج إلى المصلى؛ فاستسقى، واستقبل القبلة وقلب رداءه وصلى ركعتين(٣٧).

---

(٣٤) ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبدالكبير البكري، ج١٧، ص١٧٢.

(٣٥) النووي: يحيى بن شرف. شرح صحيح مسلم، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص ٤٣٩.

(٣٦) انظر: النووي. شرح صحيح مسلم، ج٣، ص٤٣٩. وانظر: ابن القيم: محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٣، ١٤٠٦هـ، ج١، ص٤٥٦. وقد جعلها ابن القيم ستة، وهي لا تخرج عن هذه الثلاثة.

(٣٧) رواه مسلم. كتاب صلاة الاستسقاء، رقم الحديث ٨٩٤.

قال العلماء: يستحب الخروج للاستسقاء إلى الصحراء؛ لأنه أبلغ في الافتقار والتواضع، ولأنها أوسع للناس؛ لأنه يحضر الناس كلهم فلا يسعهم الجامع، كما يستحب تحويل الرداء تفاؤلا بتغير الحال من القحط إلى نزول الغيث والخصب، ومن ضيق الحال إلى السعة(٣٨).

رفع اليدين رفعا بليغا:

فقد كان النبي ﷺ يرفع يديه الرفع البليغ في الاستسقاء، فعن أنس "أن النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء حتى يرى بياض أبطيه"(٣٩)، قال النووي: هذا الحديث يوهم ظاهره أنه لم يرفع يديه إلا في الاستسقاء، وليس الأمر كذلك، بل قد ثبت رفع يديه "في الدعاء في مواطن غير الاستسقاء، وهي أكثر من أن تحصر، ويتأول هذا الحديث على أنه لم يرفع الرفع البليغ بحيث يرى بياض أبطيه إلا في الاستسقاء"(٤٠).

> **هذا الحديث يوهم ظاهره أنه لم يرفع يديه ﷺ إلا في الاستسقاء**

إظهار التذلل والمسكنة:

ومما ينبغي على الأئمة والخطباء التذكير بضرورة إظهار التذلل والخشوع والمسكنة عند الخروج إلى الاستسقاء، قال الإمام القرطبي رحمه الله: "الاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس القطر، وإذا كان كذلك فالحكم حينئذ إظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة مع التوبة النصوح، وقد استسقى نبينا محمد، فخرج إلى المصلى متواضعا، متذللا، متخشعا، مترسلا متضرعا وحسبك به! فكيف بنا ولا توبة معنا إلا العناد، ومخالفة رب العباد، فأنى نسقى؟"(٤١).

---

(٣٨) انظر: النووي. شرح صحيح مسلم، ج٣، ص٤٤٠.

(٣٩) رواه مسلم. كتاب صلاة الاستسقاء باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء، رقم الحديث ٨٩٦.

(٤٠) انظر: النووي. شرح صحيح مسلم، ج٣، ص٤٤٢.

(٤١) انظر: القرطبي. أحكام القرآن، ج١، ص٤١٨.

تحديد يوم معين:

ومن السنة أن يعد الإمام الناس يوما يخرجون فيه، ففي سنن أبي داود عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر؛ فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة رضي الله عنها: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر، فكبر، وحمد الله - عز وجل - ثم قال: "إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله - عز وجل - أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم"، ثم قال: "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين"، ثم رفع يديه، فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، ونزل، فصلى ركعتين، فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكنّ ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، فقال: "أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبدالله ورسوله"(٤٢).

قال في المغني: "وإذا عزم الإمام على الخروج استحب أن يعد الناس يوما يخرجون فيه ويأمرهم بالتوبة من المعاصي، والخروج من المظالم، والصيام، والصدقة، وترك التشاحن؛ ليكون أقرب لإجابتهم؛ فإن المعاصي سبب الجدب، والطاعة تكون سببا للبركات"(٤٣).

---

(٤٢) رواه أبو داود: سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ. كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء، رقم الحديث ١١٧٣، وقال: هذا حديث غريب إسناده جيد.

(٤٣) المقدسي: الموفق ابن قدامة. المغني، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ، ج٢، ص١٤٨.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى ميمون بن مهران: "إني كتبت إلى أهل الأمصار أن يخرجوا يوم كذا من شهر كذا؛ ليستسقوا، ومن استطاع أن يصوم ويتصدق فليفعل؛ فإن الله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾(٤٤)، وقولوا كما قال أبواكم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٤٥)، وقولوا كما قال نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٤٦)، وقولوا كما قال موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٤٧)، وقولوا كما قال يونس: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾"(٤٨) (٤٩).

إن في تحديد يوم معين للاستسقاء تهيئة للمدعوين؛ ليقبلوا على الله، ويراجعوا أنفسهم، وينزعوا عما هم فيه من أسباب تمنع نزول القطر من السماء، ومن واجب الدعاة تذكير المدعوين بذلك، وحثهم على الإقبال على الدعاء وهم في أكمل حال.

٣ - تعظيم الاستغفار:

الاستغفار من أعظم أسباب الرزق وجلب الخيرات، وبه يستنزل المطر، وبه يدفع الضرر، وإليه دعا الله - عز وجل - ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥٠)، وقال ﷺ: "يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه"(٥١)، وروى مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(٤٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٤٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٤٦) سورة هود، الآية: ٤٧.

(٤٧) سورة القصص، الآية: ١٦.

(٤٨) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٤٩) الصنعاني: عبدالرزاق بن همام. المصنف، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ج٣، ص٨٧.

(٥٠) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٥١) رواه مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التوبة، رقم الحديث ٢٧٠٢.

قال: "ما رأيت أكثر استغفارا من رسول الله ﷺ"، وقال مكحول: "ما رأيت أكثر استغفارا من أبي هريرة"، وكان مكحول كثير الاستغفار(٥٢).

وتتبين أهمية الاستغفار ومنزلته من كثرة النصوص الواردة فيه، فبه استسقى الأنبياء والصالحون، قال تعالى عن نوح عليه السلام: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾**(٥٣) قال ابن كثير: "أي إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه، وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع"(٥٤). وقال القرطبي: "في هذه الآية والتي في هود(٥٥) دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار، قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء(٥٦) التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾**"(٥٧).

قال ابن الأَثير: "والذي يراد من الحديث أنه جعل الاستغفارَ استسقاءً، وأَراد إبطال الأَنْواء والتكذيب بها، وإنما جعل الاستغفار مشبهاً للأَنواء مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولا بالأَنواء، وجاء بلفظ الجمع؛ لأنه أراد الأنواء جميعاً التي يزعمون أَن من شأنها المطر"(٥٨).

---

(٥٢) انظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢١٠.

(٥٣) سورة نوح، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٥٤) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤٢٦.

(٥٥) وهي قوله تعالى: **﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾** [**هود**: ٥٢].

(٥٦) مجاديح السماء: أنواؤها، واحدها مجدح، وهو النجم الذي كانت تزعم العرب أنها تمطر به. انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم. لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٢، ص٤٢١.

(٥٧) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص٣٠٢.

(٥٨) ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن محمد. النهاية في غريب الحديث والأثر، دار أنصار السنة المحمدية، لاهور، د. ت، ج١، ص٢٤٣.

وقوله: (مدرارا) أي: متواصلة الأمطار؛ أي: إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه، وأطعتموه أسقاكم من بركات السماء(٥٩).

وجدير بالذكر هنا أهمية بيان هدي السلف في تعظيم الاستغفار، ففي هدي السلف الصالح أسوة في الاستسقاء، فقد كانوا يستسقون على هدي من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وقد شكا رجل إلى الحسن الجدوبة، فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله، فقيل له في ذلك، قال: ما قلت شيئا من عندي؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾(٦٠).

إن الاستغفار صفة عباد الله المتقين قال تعالى: ﴿ **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ﴾(٦١)، وقال: ﴿ **وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾(٦٢)، وكان ابن عمر "يحيي الليل، ويقول لنافع: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يسأله، فإذا قال: نعم، قعد يستغفر". وكان ابن مسعود "يجلس في ناحية المسجد، ويقول: يا رب أمرتني فأطعتك، وهذا سحر فاغفر لي"(٦٣).

فالاستغفار عبادة جليلة مندوب إليها، وأثنى الله - عز وجل - على المستغفرين، ولكن ما هذا الاستغفار الذي يستنزل به هذه الأمور العظام؟

إن الاستغفار النافع ما كان باللسان مع حضور القلب، ويكون عن إخلاص وإقلاع من الذنوب، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا**

---

(٥٩) انظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤٤٩.

(٦٠) انظر: القرطبي. الجامع في أحكام القرآن، ج ١٨ ص ٣٠٢.

(٦١) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٦٢) سورة الذاريات، الآية: ١٨.

(٦٣) انظر: القرطبي. الجامع في أحكام القرآن، ج٤، ص٤٠.

أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٦٤)، فالاستغفار عظيم، وثوابه جسيم(٦٥).

قال القرطبي: "قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان، فأما من قال بلسانه: استغفر الله وقلبه مصر على معصيته؛ فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر، وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، قلت: هذا يقوله الحسن في زمانه، فكيف بزماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكبا على الظلم، حريصا عليه، لا يقلع والسبحة في يده زاعما أنه يستغفر الله من ذنبه، وذلك استهزاء منه واستخفاف؟"(٦٦).

٤ - بيان هدي النبي في الدعوة إلى التوحيد عند نزول المطر:

ولا ينبغي أن يغفل العلماء والدعاة عن بيان هدي النبي ﷺ عند نزول المطر، حيث أرشد النبي ﷺ أمته إلى مسائل عظيمة عند نزول المطر، فيها تقرير للتوحيد، وإرشاد للمدعوين إلى السبيل الحق في نسبة النعم إلى موجدها وخالقها، وجدير بالدعاة إلى الله أن يعنوا بها؛ لتوعية أفراد المجتمع المسلم بها بما يكفل حفظ الماء، والاستفادة منه، وفي القرآن والسنة ما يوضح ذلك ويجليه.

١ - فمن المسائل الرئيسة التي أرشد إليها النبي ﷺ وهي ظاهرة في الكتاب والسنة ولها أثرها العظيم في حفظ المياه: نسبتها إلى موجدها، وشكره عليها، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا** ﴾(٦٧)، قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: ليس عام بأكثر مطرا من عام، ولكن الله يصرفه كيف يشاء، ثم قرأ

---

(٦٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٦٥) انظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص٤٠.

(٦٦) انظر: المصدر السابق، ج٤، ص٢١١.

(٦٧) سورة الفرقان، الآية: ٥٠.

هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾؛ أي: ليذكروا بإحياء الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات، أو ليذكر من منع المطر أنما أصابه ذلك بذنب؛ فيقلع عما هو فيه(٦٨).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ قال عكرمة: يعني الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وهذا الذي قاله عكرمة كما صح عن رسول الله ﷺ من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه أنه ﷺ قال لأصحابه يوما على إثر سماء أصابتهم من الليل: "أتدرون ما ذا قال ربكم ؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب"(٦٩).

وقد عُني العلماء قديما وحديثا بتقرير هذه المسألة، قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد: باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء، وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾(٧٠)، وساق فيه حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أربعٌ في أُمّتي من أمر الجاهلية لا يتركونَهُنَّ: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطران ودِرْعٌ من جَرَب"(٧١)، وساق في الباب أيضا حديث زيد بن خالد رضي الله عنه المتقدم(٧٢).

---

(٦٨) انظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٥٣.

(٦٩) انظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٥٤. والحديث في صحيح البخاري كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، رقم الحديث ١٠٣٨.

(٧٠) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٧١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، رقم الحديث ٩٣٤.

(٧٢) رواه البخاري، وتقدم تخريجه.

فقوله: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء؛ أي: من الوعيد، والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء(٧٣).

وأما قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ فعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "وتجعلون رزقكم - يقول: شكركم - أنكم تكذبون، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا"(٧٤)، وهذا أولى ما فسرت به الآية، وروي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالآية على الترجمة، فالمعنى على هذا: وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من الغيث والمطر والرحمة أنكم تكذبون؛ أي: تنسبونه إلى غيره(٧٥).

وكذلك قوله في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والاستسقاء بالنجوم"؛ أي: نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء، قال في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: "فالاستسقاء بالنجوم نوعان؛ أحدهما: أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر، إذ لا خالق إلا الله، وما كان المشركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن الله هو المنزل للمطر كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(٧٦)، وليس هذا معنى

---

(٧٣) وهي: جمع نوء، وهي منازل القمر، وهي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت في الشرق؛ فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها؛ فيقولون مطرنا بنوء كذا، وإنما سمي نوءا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءا؛ أي: نهض وطلع. انظر: آل الشيخ: سليمان بن عبدالله. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٩٦.

(٧٤) رواه الإمام أحمد في المسند، ج١، ص١٠٨.

(٧٥) انظر: آل الشيخ. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص٣٩٦.

(٧٦) سورة العنكبوت، الآية: ٦٣.

الحديث فالنبي ﷺ أخبر أن هذا لا يزال في أمته، ومن اعتقد أن النجم ينزل المطر فهو كافر، الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلى النجم مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك المنزل له، لكن المعنى أن الله تعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، فحكى ابن مفلح خلافا في مذهب أحمد في تحريمه وكراهته، وصرح أصحاب الشافعي بجوازه، والصحيح أنه محرم؛ لأنه من الشرك الخفي، وهو الذي أراده النبي ﷺ، وأخبر أنه من أمر الجاهلية، ونفاه وأبطله، وهو الذي كان يزعم المشركون، ولم يزل موجودا في هذه الأمة إلى اليوم، وأيضا فإن هذا من النبي ﷺ حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك ولو بالعبادات الموهمة التي لا يقصدها الإنسان، كما قال لرجل قال له: ما شاء الله وشئت، قال: "أجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده"(٧٧).

ومن هنا فهناك تفصيل للعلماء فيمن ينسب نزول المطر إلى النجوم، وذلك بحسب اعتقاد قائله، أما نسبتها إلى الوقت فقد فصل ذلك بعض العلماء المعاصرين كما سيأتي في مسألة تقرير النبي ﷺ أن نزول الغيث من علم الغيب.

٢ - ومن المسائل التي بينها النبي ﷺ أنه إذا استسقى المسلمون وسقاهم الله، واستمر المطر ولم ينقطع، وخشي الناس على منافعهم من الضرر فقد أرشدهم النبي ﷺ إلى قول: "اللهم حوالينا ولا علينا"(٧٨)، قال الإمام النووي: "فيه أدبه في الدعاء فإنه لم يسأل رفع المطر من أصله، بل سأل رفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل، وسأل بقاءه في

---

(٧٧) آل الشيخ. تيسير العزيز الحميد، ص٣٩٦. وانظر: آل الشيخ. فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ص٣٧٠، حيث نص على تحريم نسبة ذلك إلى النجم ولو على سبيل المجاز، وعده من الشرك الأصغر.

(٧٨) رواه مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم الحديث ٨٩٧.

مواضع الحاجة بحيث يبقى نفعه وخصبه، وهي بطون الأودية وغيرها"(٧٩)؛ لأن الخلق لا غنى لهم عن الماء بحال وفي نزوله رحمة للعباد، فإذا زاد عن قدر حاجتهم ففي بقائه قريبا منهم في بطون الأودية ومنابت الشجر خير لهم ومنفعة من رفعه عنهم.

٣ - ومن المسائل المهمة أن النبي ﷺ كان يقرر في دعوته للناس أهمية التعلق بالله الذي بيده خزائن السماوات والأرض، ففي مسند الإمام أحمد عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من بلهجيم قال: قلت يا رسول الله، إلام تدعو؟ قال: "أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض قفر دعوته رد عليك، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت عليك..."(٨٠).

فالله تعالى هو الذي يكشف الضر وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(٨١)؛ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه(٨٢).

وهو سبحانه ينزل الرحمة على من يشاء من عباده، ويمسكها عمن يشاء، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٨٣)، قال الإمام البغوي: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ قيل: من مطر ورزق ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ لا يستطيع أحد حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فيما أمسك ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما أرسل من مطر ورزق(٨٤).

---

(٧٩) النووي. شرح صحيح مسلم، ج٣، ص٤٤٦.

(٨٠) رواه أحمد في المسند، رقم الحديث ٢٠٦٥٥.

(٨١) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٨٢) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٧١.

(٨٣) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٨٤) البغوي: الحسين بن مسعود. معالم التنزيل، مكتبة طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، ج٣، ص٥٦٤.

وقال الإمام مالك رحمه الله: "كان أبو هريرة إذا مطروا، يقول: مطرنا بنوء الفتح، ثم يقرأ هذه الآية: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾"(٨٥).

والمسلم مأمور بأن يسأل الله من واسع رزقه، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾(٨٦)، وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق، والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع من الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾(٨٧)، وقول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"(٨٨)، وقول الخليل ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾، ولم يقل: فابتغوا الرزق عند الله؛ لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر، كأنه قال: لا تبتغوا الرزق إلا عند الله، وقد قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾(٨٩)، "والإنسان لابد له من حصول ما يحتاج إليه من الرزق ونحوه ودفع ما يضره، وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله، فله أن يسأل الله وإليه يُشتكى، كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾(٩٠)"(٩١).

٤ – ومن المسائل الرئيسة في هذا الباب تقرير النبي ﷺ أن نزول الغيث من علم الغيب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٩٢).

---

(٨٥) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٥٤٨.

(٨٦) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٨٧) سورة الشرح، الآيتان: ٧ – ٨.

(٨٨) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث ٢٥١٧.

(٨٩) سورة النساء، الآية: ٧.

(٩٠) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٩١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى، ج١٠، ص١٨٣.

(٩٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير"(٩٣). وفي رواية: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"(٩٤).

وقد توسع الناس في هذا العصر بالاستدلال بالنجوم أو بأقوال الفلكيين أو بالمرائي أو غيرها في الاستدلال على نزول المطر، فتجدهم يحكمون على هذا العام بأنه مطير أو غير ذلك، وهذا العمل ليس من هدي السلف، وهو ضرب من الكهانة، صحيح أن العلماء فصلوا في مثل هذه المسائل، وفرقوا بين من يقول ذلك معتقدا تأثير النجوم وأحوال الفلك والأحوال الجوية، ومن لا يعتقد. ويقسم الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - نسبة المطر إلى المنخفضات الجوية إلى ثلاثة أقسام:

توسع الناس في هذا العصر بالاستدلال بالنجوم أو بأقوال الفلكيين أو بالمرائي

القسم الأول: نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

القسم الثاني: نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

القسم الثالث: نسبة وقت، وهذه جائزة(٩٥).

ومن خلال ما تقدم يتبين أن للمطر ارتباطا وثيقا بعقيدة المسلم، وفي القرآن الكريم آيات عدة تقرر البعث من خلال الاستدلال بنزوله

---

(٩٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ٢٤ باب قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، رقم الحديث ٤٣٥١.

(٩٤) رواه البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]، رقم الحديث ٦٩٤٤.

(٩٥) ابن عثيمين: محمد بن صالح. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، جمع: فهد السليمان، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ، ج٢، ص١٩٣.

على الأرض الميتة؛ فتحيا بإذن الله، وتنبت الزروع والثمار، فماء السماء من أجل النعم التي امتن الله بها على عباده، وقد أمر الله تعالى عباده أن يشكروها، ويقدروها حق قدرها، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾(٩٦).

ومن واجب الدعاة إلى الله بيان هذا المنهج القرآني والهدي النبوي، وتقريره في نفوس المدعوين.

٥ - مظاهر تعظيم الاستسقاء عند السلف:

تتعدد مظاهر تعظيم الاستسقاء عند السلف، حيث كان للسلف حالهم وهديهم في ذلك تأسيا بحال النبي ﷺ وهديه، وبيان ذلك من خلال ما يأتي:

١ - حرص السلف على الاقتداء بهدي النبي في الاستسقاء:

انتهج السلف الصالح نهج النبي ﷺ في اللجوء إلى الله تعالى عند الجدب وقلة الأمطار، وكانوا يمطرون بفضل الله عندما يستسقون، وكان السلف يخرجون إلى الاستسقاء بقلوب مؤمنة صادقة، موقنة بوعد الله وعظيم كرمه، متخشعين متذللين لله عز وجل.

٢ - الخروج بأهل الفضل والصلاح عند الاستسقاء:

حيث كان السلف من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين يخرجون أهل الفضل والصلاح معهم يستسقون بهم، فعن أنس رضي الله عنه: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون"(٩٧).

---

(٩٦) سورة الواقعة، الآيات: ٦٨ - ٧٠.

(٩٧) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم الحديث ١٠١٠.

وخرج معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستسقي، فلما قعد على المنبر قال: "أين يزيد بن الأسود؟ فناداه الناس فأقبل يتخطاهم، فأمره معاوية، فصعد المنبر، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله؛ فرفع يديه ورفع الناس، فما كان بأوشك من أن ثارت سحابة كالترس وهبت ريح، فسقوا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم"(٩٨).

٣ - نماذج من السلف في الاستسقاء:

هناك نماذج عدة لأهل الفضل والصلاح في الاستسقاء، وكان صلاحهم وقربهم من الله - عز وجل - سببا لإجابة دعائهم، وهي تمثل تطبيقا عمليا للهدي النبوي في تعظيم الاستسقاء، وأذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

- أبو مسلم الخولاني - رحمه الله - إذا استسقى سقي(٩٩).

- الفريابي الحافظ العابد شيخ الشام أبو عبدالله محمد بن يوسف بن واقد الضبي من أفضل أهل زمانه، وقال ابن زنجويه: ما رأيت أورع منه، وقال محمد بن سهل بن عسكر: استسقى بنا الفريابي فما أرسل يديه حتى مطرنا(١٠٠).

- بلال بن سعد، قال الإمام الأوزاعي: خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾(١٠١)، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟ اللهم اغفر لنا، وارحمنا، واسقنا؛ فرفع

---

(٩٨) انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٣٦، ويزيد من سادات التابعين أسلم في حياة النبي ﷺ.

(٩٩) انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١١.

(١٠٠) انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج١، ص٣٧٦.

(١٠١) سورة التوبة، الآية: ٩١. قال القرطبي: هذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن. انظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص٢٢٧.

يديه ورفعوا أيديهم فسقوا(١٠٢). وقيل: إنه خرج الناس يستسقون وفيهم بلال بن سعد، فقال: أيها الناس، ألستم تقرون بالإساءة ؟ قالوا: بلى، فقال: اللهم إنك قلت: ﴿**مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ**﴾، وكل مقر بالإساءة، فاغفر لنا، واسقنا؛ فسقاهم الله تعالى يومهم ذلك(١٠٣).

- قاضي قرطبة منذر بن سعيد البلوطي(١٠٤)، فعندما قحط الناس في آخر مدة الخليفة الناصر، أمر بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فتأهب لذلك، وصام بين يديه أياماً ثلاثة تنفلاً وإنابة ورهبة، واجتمع له الناس في مصلى الربض بقرطبة بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر؛ ليشرف على الناس، ويشاركهم في الخروج إلى الله تعالى والضراعة له، فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس، وغصت بهم ساحة المصلى، ثم خرج نحوهم ماشياً متضرعاً مخبتاً متخشعاً، وقام ليخطب، فلما رأى الناس، واستكانتهم من خيفة الله، وإخباتهم له، وابتهالهم إليه، رقّت نفسه، وغلبته عيناه، فاستعبر وبكى حيناً، ثم افتتح خطبته بأن قال: يا أيها الناس، سلام عليكم، ثم سكت ووقف شبه الحصر، ولم يكن من عادته، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله، ثم اندفع تالياً قوله تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(١٠٥)، ثم قال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، وتزلفوا بالأعمال الصالحة لديه، فضج الناس بالبكاء، وجأروا بالدعاء، ومضى على تمام خطبته، ففزّع النفوس بوعظه، وانبعث الإخلاص

---

(١٠٢) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص٢٠٣

(١٠٣) انظر: بدران: عبدالقادر. تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ، ج ٣، ص ٣٢ وانظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٩٠.

(١٠٤) هو قاضي قرطبة، كان خطيبا بليغا (ت: ٣٥٥هـ) انظر ترجمته في: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص ١٧٣. المقري: أحمد بن محمد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٨هـ، ج٢، ص١٦، ٢١.

(١٠٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

بتذكيره، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر، روّى الثرى، وطرد المحل، وسكن الأزل، والله لطيف بعباده(١٠٦). بمثل هذه النفوس المخبتة كان السلف يستسقون ربهم فيسقيهم.

وكان للمنذر بن سعيد في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب، ومنه أن قال يوماً، وقد سرح طرفه في ملأ الناس عندما شخصوا إليه بأبصارهم، فهتف بهم كالمنادي: يا أيها الناس، وكررها عليهم مشيراً بيده في نواحيهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾(١٠٧)، فانطلقت أعين الناس بالبكاء، ومضى في خطبته. وقيل: إن الخليفة الناصر طلبه مرة للاستسقاء، واشتد عزمه عليه، فتسابق الناس للمصلى، فقال للرسول: ليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة؟ فقال: ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا، إنه منتبذ حائر منفرد بنفسه، لابس أخس الثياب، مفترش التراب، وقد رمد به على رأسه وعلى لحيته، وبكى واعترف بذنوبه، وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين، لن يفوتك شيء مني، فتهلل وجه القاضي منذر عندما سمع قوله، وقال: يا غلام، احمل المطرة معك، فقد أذن الله تعالى بالسقيا، إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء، وكان كما قال، فلم ينصرف الناس إلا عن السقيا(١٠٨).

- أبو المواهب محمد بن عبدالباقي الحنبلي البعلي (ت: ١١٢٦هـ) مفتي الحنابلة بدمشق، وكان إماما عاملا حجة فقيها ورعا، وعندما قحط الناس في سنة ١١٠٨هـ صاموا ثلاثة أيام، وخرجوا في اليوم الرابع إلى المصلى صياما، فصلى بهم، ثم نصب له كرسي في وسط المصلى؛ فصعد عليه، وخطب خطبة الاستسقاء، وشرع في الدعاء،

---

(١٠٦) انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص ١٧٥. والمقري. نفح الطيب، ج١، ص٥٧٢.

(١٠٧) سورة فاطر، الآيات ١٥ - ١٧.

(١٠٨) انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص١٧٦، ١٧٧. والمقري. نفح الطيب، ج١، ص٥٧٣.

وارتفع الضجيج والابتهال إلى الله تعالى، وكثر بكاء الخلق، وكان الفلاحون قد أحضروا جانبا كثيرا من البقر والمعز والغنم، وأمسك أبو المواهب بلحيته وبكى، وقال: إلهي لا تفضح هذه الشيبة بين عبادك؛ فخرج في الحال من جهة الغرب سحاب أسود بعد أن كانت الشمس نقية من أول الشتاء لم ير في السماءِ غيم، ولم ينزل إلى الأرض قطرة ماء، ثم تفرق الناس ورجعوا، فلما أذن بالمغرب تلك الليلة انفتحت السماء بماء منهمر، ودام المطر ثلاثة أيام بلياليها غزيرا كثيرا(١٠٩).

ومثل ذلك من أحوال السلف كثير وهي على سبيل المثال لا الحصر، ويتبين من خلالها أهمية خروج أهل الفضل والصلاح للاستسقاء، ومن واجب الدعاة تقريب هذه الأمثلة وغيرها؛ فهي دليل على قرب الإجابة من الله الكريم، إذا قصده العباد بقلوب مخبتة، ونفوس خاشعة، وتوبة صادقة.

واجب الدعاة تقريب هذه الأمثلة وغيرها فهي دليل على قرب الإجابة من الله الكريم

٤ - كان يعظم على السلف أن يستسقوا فلا يسقون:

ومن مظاهر تعظيم الاستسقاء عند السلف أنه كانت تعظم في نفوسهم أن يستسقوا فلا يسقون، ويستعظمون ذلك، وكانوا يثبتون ذلك ويتناقلونه، كما ذكر الحافظ ابن كثير في حوادث سنة أربع وسبعين وستمئة أن أهل بغداد استسقوا ثلاث مرات، فلم يسقوا، قال: وفيها استسقى أهل دمشق مرتين فلم يسقوا(١١٠).

إن الدعوة اليوم أحوج ما تكون إلى بيان أهمية خروج الناس للاستسقاء بقلوب مخبتة، منيبة إلى الله، مستشعرة فقرها إليه، خاشعة لعظمته وجلاله، ومن واجب الدعاة تهيئة الناس لذلك؛ ليكون حضورهم للصلاة على أكمل وجه.

---

(١٠٩) انظر: ابن حميد: محمد بن عبدالله. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ج١، ص٣٣٧.

(١١٠) انظر: ابن كثير. البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د. ت، ج١٣، ص٢٦٩.

ثالثًا: تطبيقات تعظيم الاستسقاء في المملكة العربية السعودية

يمتد اهتمام المملكة العربية السعودية بتصحيح مفهوم الاستغاثة والاستسقاء إلى دعوة التوحيد التي قررت حقيقة الاستغاثة وأحكامها ومقاصدها في وقت كان العالم الإسلامي مملوءا بصور من الاستغاثة المحرمة من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلبهم في كشف الضر. وكانت الدعوة الإصلاحية على يد الإمامين محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله - دعوة إلى تصحيح كثير من المفاهيم العقدية والشرعية، وفي مقدمة ذلك: الاستغاثة، وقد عني أئمة الدعوة وعلماؤها في عهد الدولة السعودية منذ قيامها إلى هذا الوقت بتقرير التوحيد، وتصفيته من شوائب الشرك، ومن ذلك تقرير حقيقة الاستغاثة، وأنه لا يستغاث إلا بالله، وتقرير مفهوم الاستغاثة، والفرق بين الاستغاثة الجائزة والمحرمة، "فالاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة"(١١١)، قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: "الاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك سبع أو نحوه بحسب الأفعال الظاهرة، أما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو بالأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وطلب الرزق وغيره فمن خصائص الله التي لا يطلب فيها غيره"(١١٢).

ولما كانت الجزيرة العربية من المناطق التي تقل فيها المياه وتظهر فيها حاجة الناس إلى الماء لحاجاتهم وزروعهم ومواشيهم، فقد كان من التطبيقات العملية لتصحيح مفهوم الاستغاثة: تعظيم صلاة الاستسقاء، حيث هي من الشعائر الظاهرة التي تعلق قلوب العباد بالله - عز وجل - وتربيهم على اللجوء إليه لكشف الضر، ودفع البلاء.

---

(١١١) آل الشيخ. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، طبع ونشر رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ، ص١٢٨.

(١١٢) آل الشيخ. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص١٣٢.

ومن هنا كانت صلاة الاستسقاء إحدى الشعائر الظاهرة المعظمة في بلاد الحرمين الشريفين: المملكة العربية السعودية، وهذا التعظيم له صورتان: الأولى علمية، والثانية عملية:

١ - الصورة العلمية:

وتتمثل في بيان أهمية الاستسقاء وأحكامه وآدابه لعامة الناس في أمور عدة، منها: النصائح العامة من العلماء وطلبة العلم، ومنها: الدروس والمحاضرات العامة، ومنها: الخطب، حيث لا تخلو مواسم المطر من تذكير الناس بأهمية صلاة الاستسقاء والأسباب المانعة من القطر(١١٣)، ومن ذلك أيضا ما يتعلمه الطلاب في مراحل التعليم العام؛ إذ يتعلمون صلاة الاستسقاء وأحكامها، والحكمة من مشروعيتها، ومن ذلك: الكتب المصنفة والمطويات توعية للمجتمع بأهمية صلاة الاستسقاء.

ومن أظهر الصور العلمية لاهتمام ولاة الأمر في المملكة ما يتقدم الاستسقاء من نصيحة عامة من ولي الأمر ومن العلماء ترغيبا وترهيبا، وشواهد ذلك كثيرة جدا أذكر منها ما يأتي:

١ - نصيحة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - لرعيته حيث قال في نصيحة عامة: "وقد رأيتم ما حصل عليكم من منع القطر، وغور المياه والقحط، وشدة المؤنة وأنواع البلايا والامتحانات؛ وذلك سببه مخالفة أمر الله، وارتكاب نهيه؛ فإن الذنوب والمعاصي من أعظم الموجبات لحلول العقوبات والنقمات، فارغبوا عباد الله إلى الله بالدعاء والاستغفار ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(١١٤)، وعظموا أمر ربكم ونهيه، ولا شك أن ما منع القطر من السماء إلا بذنوب المسلمين، ولله في

---

(١١٣) يراجع في ذلك الكتب المصنفة في خطب الجمعة، وهي كثيرة، ولا يخلو واحد منها من خطبة أو خطبتين لصلاة الاستسقاء، وكذلك خطب عن الأسباب الجالبة للمطر، والأسباب المانعة منه.

(١١٤) سورة النور، الآية: ٣١.

ذلك حكمة، وما يعفو الله عنه أكثر، وما رفع عنكم من العقوبات أعظم؛ فأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وتناصحوا فيما بينكم، وتحببوا إلى ربكم بالإنابة والإقبال عليه، وارغبوا إليه بطاعته واجتناب معصيته، لعل الله أن يتوب علينا وعليكم، ويدخلنا وإياكم في رحمة منه وفضل، ويهدينا صراطه المستقيم"(١١٥).

٢ - يتقدم إقامة صلاة الاستسقاء بيان من الديوان الملكي يتضمن دعوة الناس إلى الصلاة ونصيحتهم وتذكيرهم، وقد جاء في البيان: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد، فنظرا لحاجة البلاد والعباد إلى الغيث الذي تأخر نزوله، واشتدت الحاجة إليه، والله - سبحانه وتعالى - أمرنا بدعائه فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١١٦)، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(١١٧)، وقال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(١١٨). وبناء على حاجة البلاد إلى المطر، وتأسيا بسنة نبينا محمد ﷺ بإقامة صلاة الاستسقاء عند تأخر نزول المطر، فقد دعا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز إلى إقامة صلاة الاستسقاء في جميع أنحاء المملكة يوم الخميس الموافق للسادس من شهر محرم ١٤٢٥هـ حسب تقويم أم القرى الموافق ٢٠٠٤/٢/٢٦م؛ فعلى الجميع أن يكثروا من التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله سبحانه، والإحسان إلى عباده، والإكثار من نوافل الطاعات من صدقات وصلوات وأذكار، والتيسير على عباد الله، وتفريج كربهم لعل الله أن يفرج عنا، وييسر لنا ما نرجو. وينبغي على كل قادر أن يحرص على أداء

---

(١١٥) ابن قاسم. الدرر السنية، ج١٤، ص٣٧٢.

(١١٦) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(١١٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(١١٨) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

هذه الصلاة عملا بسنة رسول الله ﷺ، وإظهارا للافتقار إلى الله - جل وعلا - مع الإلحاح في الدعاء؛ فإن الله يحب من عباده الإكثار من الدعاء والإلحاح فيه. ونسأل الله جلت قدرته أن يرحم البلاد والعباد، وأن يستجيب دعاء عباده، وأن يفرج كربهم، وأن يجعل ما ينزله رحمة لهم ومتاعا إلى حين، إنه سميع مجيب، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١١٩).

كما يتقدم الاستسقاء النصيحة من العلماء ومن شواهد ذلك ما يأتي:

١ - قال الشيخ محمد بن عبداللطيف - رحمه الله - في نصيحة له: "واعلموا رحمكم الله أن المسلمين عزموا على الاستسقاء؛ فيجب عليكم معاشر المسلمين أن تقدموا بين يدي ذلك التوبة النصوح لله، والإقبال عليه، والإقلاع من الذنوب والمعاصي القلبية والبدنية والمالية"(١٢٠).

٢ - وقال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - في نصيحة له قبل الاستسقاء: "وكل فساد ونقص في الاعتقاد والأخلاق والأعمال والعلوم والفهوم والقوى والإرادات والتصورات، وغور الماء، وحبس القطر من السماء، ونقص الحروث والتجارات، وغير ذلك، فسببه الإخلال بتقوى الله، وعدم المبالاة بأوامره ونواهيه، وقلة الاكتراث بوعيد الله الذي يعيده في كتابه ويبديه رسوله ﷺ"(١٢١).

وقال أيضا: "ويجب الحرص كل الحرص على التخلي من حق الزكاة، والتطهير للمال من ذلك، وكل من منع الزكاة وأكل الحرام، وترك الأمر بالمعروف سبب خاص في منع القطر، وعدم استجابة الدعاء"(١٢٢). ويحث على الصدقة قبل الاستسقاء فيقول: "ومما

---

(١١٩) جريدة الجزيرة، الثلاثاء ٤ المحرم ١٤٢٥هـ، العدد ١١٤٧١.

(١٢٠) ابن قاسم: عبدالرحمن بن محمد. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ط٢، ١٤٢٥هـ، ج١٤، ص٢٩٤.

(١٢١) ابن قاسم، الدرر السنية، ج١٤، ص٤٧٤.

(١٢٢) ابن قاسم الدرر السنية، ج١٤، ص٤٧٧.

ينبغي أن يقدم بين يدي الاستسقاء: الصدقة، وملاحظة الفقير، والنظر إليه نظر رحمة عسى أن يرحمنا ربنا، وفي الحديث: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء(١٢٣)"(١٢٤).

إن من واجب العلماء ترغيب الناس بالاستسقاء على الوجه الأكمل، وينبغي أن يعنى العلماء وطلبة العلم بتذكير الناس بهدي النبي ﷺ في الاستسقاء.

وجدير الذكر هنا أن هناك من التدابير التي يقوم بها العلماء والدعاة لبيان أهمية المحافظة على الماء من حث المجتمع على أهمية تعظيم الأوامر والنواهي، وضرورة الابتعاد عن الشرور والآثام، وحفظ المجتمع من مظاهر السوء، كما يسهم العلماء والدعاة من خلال نصائحهم وتوجيهاتهم في تكوين عادات اجتماعية رائدة في مجال التدبير، وحسن التعامل مع الماء، والشعور بوجدان الأخوة الإسلامية؛ امتثالا للنصوص الشرعية الآمرة بذلك، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(١٢٥)، وقوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(١٢٦)، وقوله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"(١٢٧).

---

(١٢٣) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، رقم الحديث ٢٠٠٦. وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي. الألباني، ج٣، ص١٨٠، رقم الحديث ١٥٦٩.

(١٢٤) ابن قاسم. الدرر السنية، ج١٤، ص٤٧٧. من نصيحة كتبها في ٢٠/ ٥/ ١٣٨١هـ. وانظر نصيحة أخرى له كتبها في ٤/ ٩/١٣٨٢هـ، ج١٤، ص٤٧٨. وانظر: ابن باز: عبدالعزيز. فضل صلاة الاستسقاء، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٣٤، ص٣١٣.

(١٢٥) سورة المائدة، الآية: ٢.

(١٢٦) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث ١٣.

(١٢٧) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث ٤٦٧.

وللعلماء إسهامهم في بيان فقه الزكاة وأحكامها ومقاصدها، وأن منعها سبب للقحط، وذلك من خلال الدروس العلمية والمحاضرات العامة التي تقام في المساجد والمراكز، كما يبرز في هذا أيضا جهود العلماء في خطبهم وكلماتهم والكتب المؤلفة التي تبين فقه الزكاة، وشكر النعم، وأداء الأمانة، وتعظيم شعائر الدين وحرماته.

وفي سبيل حفظ الماء وشكر الله على نعمه يؤكد العلماء النهيَ عن الإسراف؛ إذ يقوم العلماء والدعاة ببيان حد الإسراف، وخطره على الفرد والمجتمع، وحكم الشرع فيه، وحيث إن خطبة الجمعة مجال رحب لتوعية المجتمع بالنهي عن الإسراف في الماء، والأمر بالمحافظة عليه؛ فقد تتبع الباحث عددا من الكتب المصنفة في الخطب لعدد من العلماء وطلبة العلم في المملكة، ولم يجد خطبة مستقلة عن الإسراف في الماء، ورغم أنه لا يوجد خطبة مستقلة عن الماء أو عن الإسراف في الماء، إلا أن الخطب بمجملها تحث على حفظ الحقوق ورعايتها، وأداء الواجبات والتزامها، والبعد عن المعاصي والآثام، وكل ذلك سبب رئيس في نزول البركات من السماء، وحفظ الله للمجتمع من كل سوء.

٢ - الصورة العملية:

أما الصورة العملية لتعظيم صلاة الاستسقاء فظاهرة جدا، وتتمثل تلك فيما يأتي:

١ - مبادرة ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية عند تأخر نزول الغيث إلى الدعوة إلى إقامة صلاة الاستسقاء في أنحاء البلاد، وحث الناس على المبادرة إليها، وتحديد يوم معين لذلك؛ تأسيا بسنة النبي ﷺ، ويحظى هذا الأمر بالعناية قبل الصلاة تذكيرا وترغيبا للناس؛ لإقامة الصلاة بعد إقامة الصلاة بنقل مشاهد عن جموع المصلين، وهم يتضرعون إلى الله ويبتهلون إليه؛ ليغيثهم بالمطر.

٢ – مبادرة وسائل الإعلام إلى الإعلان عن موعد صلاة الاستسقاء في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وتكرار ذلك، كما يتم تكرار الدعوة عند عدم نزول الغيث، مع التأكيد على الناس بأهمية المبادرة إلى الصلاة، والحضور إليها بخشوع وتذلل وافتقار. وتقام الصلاة غالبا في يومي الاثنين أو الخميس، وهما من الأيام التي يشرع صيامها.

٣ – قيام وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بتحديد المصليات المناسبة من المساجد، والمصليات المتاحة خارج البنيان، ويتم بيانها من خلال الصحف.

٤ – قيام العلماء وأئمة المساجد بدعوة الناس وحثهم إلى الخروج إليها تائبين خاشعين متصدقين، ويذكّر العلماء الناس بنصائح تنشر عبر الصحف كما تقدم.

٥ – ومن مظاهر التعظيم والتطبيق العملي لذلك أن يتقدم ولاة الأمر في صلاة الاستسقاء المصلين، حيث يتقدم أمراء المناطق، والعلماء، والقضاة، ومحافظو المحافظات، ورؤساء المراكز في أنحاء المملكة جموع المصلين لأداء صلاة الاستسقاء؛ وفي ذلك تعظيم لهذه الشعيرة، واقتداء بالنبي ﷺ وتعظيم لسنته؛ مما يكون سببا في رفع القحط، ونزول الغيث بإذن الله تعالى وحكمته ورحمته، فالحمد لله الذي هيأ لعباده من الأسباب ما به صلاح معاشهم في الدنيا والآخرة.

٦ – ومن التطبيقات العملية لتعظيم الاستسقاء حرص الناس على تطبيق السنن الواردة في الاستسقاء مما كان يفعله النبي ﷺ كقلب الرداء بعد الانتهاء من الصلاة والدعاء تفاؤلا بتغير الحال.

٧ – ومن الصور أن الناس يصيبهم القلق والحزن عندما يستسقون، ولا ينزل المطر، ويعنى بذلك الخطباء والدعاة في تذكير الناس

بأهمية اللجوء إلى الله، والبعد عن أسباب منع القطر، وفي مقابل ذلك يحدث الفرح والاستبشار بين الناس عند نزول المطر، ويتناقلون أخباره ويحمدون الله على ذلك، ويسألونه المزيد من فضله، واعتاد الناس في هذه البلاد ولله الحمد أن يثنوا على الله بما هو أهله في حال نزول المطر، وحالما يلتقون في المساجد أو غيرها تجد بعضهم يبارك بعضا ويهنئه بنزول الغيث، ويسأله عن الأماكن التي مطرت والتي لم تمطر؛ تحدثا بنعمة الله، واستشعارا لفضله.

إن الاستسقاء من الأسباب العظيمة التي شرعها الله - عز وجل - لعباده للحصول على الماء الذي تقوم بها حياتهم ومعاشهم، ومن هنا فإن من الواجب على الناس إدراك هذه النعمة العظيمة، وأداء هذه الشعيرة وتعظيمها، فهي سبب - بإذن الله - لنزول المطر، ومنع الجدب والقحط؛ إذ هي تضرع ودعاء وابتهال وخشوع، كما أن على الأئمة والخطباء مسؤولية في تذكير الناس بذلك لما يلحظ من تهاون بعض الناس وتكاسلهم عن أداء هذه الشعيرة. كما أن على الخطباء أن يدركوا أهمية الاستسقاء في الخطبة حيث هو - كما تقدم - أحد أنواع الاستسقاء، ويلحظ تقصير بعض الخطباء في ذلك؛ فقد يمر عليه الموسم دون أن يستسقي في خطبته، ويتضرع إلى الله.

ومن مسؤولية وسائل الإعلام المختلفة أيضا أن تشارك في تذكير الناس، وحثهم على أداء صلاة الاستسقاء.

وقد تقدم الحديث عن اهتمام المملكة العربية السعودية بحفظ مصادر المياه، وبذل الأسباب المعينة على ذلك، والتوعية الشاملة من قبل وزارة المياه والكهرباء ظاهرة مشهودة، وإذا كانت الوزارة تسعى من خلال العديد من البرامج والخطط إلى حفظ هذه الثروة العظيمة، وعدم تبديدها، وتوفير المياه للناس، وتسهيل حصولهم عليه؛ فإن الاستسقاء ينبغي أن يأخذ حيزا مناسبا من اهتمام الوزارة، فإذا كانت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد تعنى

بتهيئة الناس للصلاة وأدائهم لها على أكمل وجه، وللعلماء والأئمة جهودهم في ذلك، ولوزارة الثقافة والإعلام جهودها في تبليغ الناس بموعد الصلاة وأماكنها فإن وزارة المياه ينبغي أن يكون لها نصيب من هذا الاهتمام، وذلك من خلال الإسهام في التوعية بأهمية الماء في حياة الفرد والمجتمع من خلال برامج وخطط مدروسة، والتعاون في ذلك مع المؤسسات التعليمية في تكوين أجيال تعرف قدر الماء، وتسعى إلى المحافظة عليه وعلى مصادره.

إن تضافر الجهود في تكريس الحقائق عن واقع المياه ومستقبله أمر له أهمية كبرى، حيث إن تحلية المياه لها تكاليفها وتبعاتها، ويظل المطر من أعظم نعم الله ومن أهم مصادر المياه، والعباد مفتقرون إليه في كل وقت وحين.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر إتمام هذا البحث، وقد توصلت من خلاله إلى جملة من النتائج منها:

١ - إن الماء سبب الحياة في العالم، وإن لتحصيله والمحافظة عليه أسبابا شرعية أمر الله بها في كتابه وسنة رسوله ﷺ. فقد جاء الإسلام بالتدابير والأسباب التي من شأنها تحقيق الأمن المائي للمجتمع، ولو أن المجتمعات البشرية أخذت بهذه الأسباب لتحقق لها الأمن، ورغد العيش.

٢ - إن من الأسباب الرئيسة لتحصيل الماء: تعظيم الاستسقاء، وبيان أحكامه وآدابه، وبيان أهمية القدوة في المحافظة على الماء وفي حضور صلاة الاستسقاء، وتعظيم شأنها.

٣ - إن المملكة العربية السعودية من الدول الرائدة في تعظيم الاستسقاء، والأخذ به بصفته سببًا شرعيًا رئيسًا في الوقاية من الجفاف.

٤ – أهمية شكر النعم قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(١٢٨)، فشكر النعم مؤذن بزيادتها، وكفرها مؤذن بسلبه وحرمان العباد منها وفي الحديث: "إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"(١٢٩)، والمطر من رزق الله كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾(١٣٠).

وهذه النتائج وغيرها تدعو الباحث إلى التأكيد على ما يأتي:

- أهمية تذكير المجتمع بالمبادرة إلى صلاة الاستسقاء عند دعوة ولي الأمر إليها، ووضع التدابير الكفيلة بحضور الناس إليها، وعلى الخطباء وأئمة المساجد مسؤوليتهم في ذلك، لا سيما في هذا الوقت الذي كثرت فيه الشواغل ودواعي النسيان.
- أهمية توعية المجتمع المستمرة بأسباب نزول الغيث، وأسباب منع القطر، والتأكيد على ذلك من خلال الخطب والمحاضرات والوسائل المناسبة.
- أهمية تقريب الهدي النبوي في الاستسقاء، وبيان حال السلف وهديهم في ذلك.
- وأخيرًا يوصي الباحث بمزيد من الدراسات والأبحاث حول تدابير الشرع المطهر في حفظ الماء، والعناية به، والوقوف على تطبيقات المجتمع لتلك التدابير وتقويمها.

---

(١٢٨) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(١٢٩) رواه الحاكم: محمد بن عبدالله. المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، رقم الحديث ١٨١٤.

(١٣٠) سورة غافر، الآية: ١٣.